



ميلاد مجيد و"عهد" بلا طفولة

بقلم: جواد بولس

بعد أن تهدأ موجة الغضب المنفلت من صدور الفلسطينيين المنتفضين على ليلهم الفاجح وكوابسه التي باتت لا تحتمل ولا تطاق، سنتضاف على حائط "الضمير الانساني" بعض الصور والمفارق الفريدة والتي قد تبقى في بطن التاريخ كذكارات وشواهد على كيف يستأنب ابن آدم في يوم كله شمس وتنام في الليل الأساطير وتختفي الأعمار وتنتحب النجوم.

فوزي والعشرين بندقية

اسمه فوزي وهو من مواليد سنة 2001، يحتجزه الاحتلال في سجن "عوفر" القريب من بلدة بيتونيا الفلسطينية. قبل أيام قليلة قابله محامي "نادي الأسير الفلسطيني" في السجن، وذلك في نهاية رحلة عذاب تلك التي تقرأون عنها في الروايات، وتشاهدونها في أفلام النفاق الهولودية - فيها تكون الضحية شقراء بيضاء وغريبة، والشريد يكون دوماً، هندياً أو زنجياً أو ذا ملامح شرقية.

كان يمشي في الشارع القريب من داره في أحد أحياء مدينة الخليل حين سمع صوت رصاص فهد، مثلما فعل آخرون، لكن جندياً إسرائيلياً اعترض طريقه وأوقفه على الأرض وبدأ بضربه بعقب بارودته وبرجله وهو عاجز عن المقاومة أو الكلام.

بعد لحظات قليلة وجد فوزي نفسه بين أكثر من عشرين "محارباً" وكلهم يشاركون في "حفلة صيدهم" ويشتمون أمه وأخواته ويضربونه بعنف ولذة. بعدها أوقفوه وأوثقوا يديه بمرباط بلاستيكية شدت على معصميه حتى غرقت في لحمه، وأمروه، بعد أن أعضبوا عينيه، بالمشي وهو محاط بغاية من الخוזات، وتقدموا في صورة ستبقى شاهداً على همجية الإحتلال وبيئة على كونه مفاعلاً يفرغ جنوده

من آدميتهم ويحولهم إلى روبوتات وحشية. إنه ذلك الفتى الذي التقطته عدسة الصدفة كعصفور تائه في عين عاصفة "تورنادو". نصف جسمه كان مخفياً وراء أجساد "مطهمة" كخيل المغول، وهو يلبس بنظلاً أزرق يشبه ما يلبسه شباب هذا العصر وعلى صدره سترة رمادية عادية تظهر عليها أحرف انكليزية، ويتعلل حذاء رياضياً أبيض، يده لا تظهران في الصورة فقد ربطتا خلف ظهره.

أحد الجنود كان يشد رأسه إلى الخلف فظهر عنقه مصقولاً وناعماً وانكشف وجهه العاجي وهو موسى ببعض آثار للكلمات السوداء. شعره كان بلون العنب. رغم العصبية التي أخذت عينيه، أخالهما بزرقه سماء الخليل، بقي أجمل من جميعهم.

كان الجنود يتحركون بتشكيلة عسكرية قتالية، كمن قبضوا على "سوبرمان" خارق نزل من الفضاء، وبحرسونه بتأهب ميداني كامل. من يساره التصق به جندي في الثلاثينيات من عمره وبينما يشد رأس فوزي إلى السوراء، وتضغط يده الأخرى على كتفه ككماشة ولمزمة؛ قائد المجموعة يسير في المقدمة وهو مدجج كرفاقه بكل الغدة والعتاد. في الصورة ظهر كأنه يتقدم إلى الوراء وبلغت إلى فوزي بحركة تؤكد عبثة الشهد، وخلفه ينتصب جنديان وهما يرفغان سلاح "رامبو" الأوتوماتيكي، ويدهما جاهزان على الزندين، بينما بدت الفرقة كلها كموجة من القف العائمة في بحر بلون الخردل الفاسد.

أخذوه إلى معسكر للجيش قريب من المكان، وهناك في غرفة معتمة أكلوا طغوس "خلفتهم" حتى كاد أن يفقد وعيه، وذلك بعد سكب الماء البارد على قدميه العاريتين وقيامهم بالدوس عليها للإيلاج. شعر بإعياء شديد، فكلما كان يطلب منهم التوقف كانوا

قصة فوزي هي واحدة من عشرات القضايا التي رصدت مؤخراً في زيارات المحامين لمراكز التوقيف والاعتقال الاسرائيلية، فمن المعطيات المتوفرة يظهر أن عدد المعتقلين الفلسطينيين، منذ اعلان ترامب بخصوص القدس ولغاية اليوم، تجاوز الخمسمائة معتقل، بينهم حوالي (١٥٠) قاصراً، و(١١) فتاة وشاة وبعض الجرحى.

يزيدون الحصص قنطاريين.

نقلوه، بعد أن أفرغوا عيظهم، إلى مركز شرطة كريات-أربع حيث قام شرطي بالتحقيق معه لمدة ساعة تقريباً وهو مكبل اليدين وفي حالة نفسية صعبة. اتهموه بإلقاء الحجارة فأنكر التهمة، لكنهم "أقنعوه" أن يوقع على إفادة كتبت بالعبرية، ثم نقلوه إلى مركز توقيف "عتمصيون" حيث مكث هناك بضع ساعات اضطر بعدها المسؤولون إلى نقله لإجراء فحوصات في أحد المراكز الطبية، في أعقابها اقتادوه إلى سجن عوفر. وهو ما زال رهن الاعتقال.

قصة فوزي هي واحدة من عشرات القضايا التي رصدت مؤخراً في زيارات المحامين لمراكز التوقيف والاعتقال الاسرائيلية، فمن المعطيات المتوفرة يظهر أن عدد المعتقلين الفلسطينيين، منذ اعلان ترامب بخصوص القدس ولغاية اليوم، تجاوز الخمسمائة معتقل، بينهم حوالي (١٥٠) قاصراً، و(١١) فتاة وبعض الجرحى.

"عهد" بلا طفولة

قد تصبح صور الطفلة عهد باسم التميمي ابنة قرية النبي صالح، من أشهر أيقونات تحرير الشعوب من نير الاحتلالات وقمع جنودها: فهي ومنذ كانت بعمر الحسون أشهرت طفولتها الماسية في وجه فولاذ الجيش الإسرائيلي وعنجهية باروده.

لم تخش غزاوتهم ولم تصغر عند جنازير مركباتهم، بل حاولت قبل سنوات، وهي بطول فلة، أن تمنعهم من اعتقال والدتها، فعاندت وصرخت وبكت وركضت وراء الجيب العسكري، الذي سرق منها الطفولة ولقبها، وهي تنادي على حلما وصوتها يملأ فضاء الشرق حرقاً ولوعة؛

ثم بعدما صارت بطول ناي جاءوا ليعتقلوا أختها الصغير، فوفقت أمام قبضاتهم "بشراسة" أم رؤوم تدافع و"تخرمش" وتتوعد، فحذار حذار من "وجعي ومن غضبي". وبعد أن صارت مثل قوس قزح خاضت قبل أيام معركةها الثالثة، وكانت أوجع الممارك وأصعبها، فهي "المليحة" التي جاءت بشوك وردها لتضع وتحدى من حسبو أنهم داسوا على عتبات كرامة الفلسطينيين وحققوا مرحلة اللاعودة. وقتتها استفرزتهم، فجنوا ومادت بهم الأرض وتموجت أصداعهم بعد أن تيقنوا أنهم خسروا. اعتقلوها مع معظم أفراد بيتها، لتتضم إلى تلك الكوكبة

من الأسيرات والأسرى الذين ينتظرون وراء القضبان بأمل انبلاج الصبح والحرية.

ميلاد وعهد

عهد هي عينة لأجيال فلسطين الحرة المولودة تحت حراب المحتلين وفي ظل القمع والحرمان والذل، وهي مرآة ناصعة نقية تعكس عجز العرب والمسلمين، خاصة الذين يتساقون، بالستر أو شبه العن، مع مغتصبي الأرض والقدس وقامعي أهلها، وهي، في نفس الوقت، مهمان فلسطيني ينقر في ضمائر كل من شاهدها ويشاهدونها وهي تحترق على مذبح الكرامة الفلسطينية ولا يحركون ساكناً ولا يحاولون لو هن أفضان الريح عساها تطلع وتمسح عن خدها الغض بقايا حسرة ودمعة حرى.

عهد هي صلاة الفلسطيني الحر في فجر هذا الميلاد المجيد ووعد الملائكة بالرحمة والخلاص، وهي الندى حين يبذل حناجر الخائفين من غدر العواصف وغضب الردع.

عهد هي صدق لأماني الرحلين، وصوت "أيوب" عندما يصحو ولا يرضى بالفواجع نهج حياة ومصيراً. وهي الوردة الثالثة في سور عجز "الكبار"، وأبنة الانتباس ومجاز للمستحيل.

عهد، أيا أيقونة مشرقة، يليق بك النصر والفرح، فأنت "السناة" في ترانيل "ابراهيم" والقلق الذي يقض راحة المحتلين، ولكن... لولا حرقتي على قلب العصفور، وخوفي على حرير العينين، وعرفتي بلؤم السلطان وشغفه بفرقة السياط على خواصر الجياد، ودنغه بسحق الورد كي يسطاد قبرة ويسقط "طوقان"، لتمنيت لك مرتبة "القدسين" ومكانة أعلى من "جان دارك" وأبقى من أميرات الملاحم، لكنني أخشى عليك من غدر السحاب ومن الخديعة في السراب، فمن أجلك، وكى لا تقعين من على صهوة الأمل، سأصلي، وأنا المظوم عنها، ومن أجل أتراك سادعو، لا سيما ونحن على أعتاب ميلاد يسوع الناصري - التلميحي، ذلك الطفل الذي يجب أن يجذب لأنك مثله لا تنتسبين "لقبصر" وتعافين الظلم والظلمة، ومثله لا تكهين أحداً، لكنك لا ترضين بالمهانة والجوع وبالعيش في بطن التنين، ولأنك تنامين على أراك منسوجة بالحب والصبر والتضحيات، ومثله لا تخشين الشوك ورفقة العراء.

فأنت من جيل صلي ويصلي من أجل السلام، لكنك تعرفين أنه لن يجل إذا بقي جيش "بيلاطس" والمرابون والعرفان وباعة الفسق يستوطنون جباهكم وساحات بيوتكم. سادعو من أجلكم السماء وأسألها كيف تسمح للأشرا أن يتاجروا بدم "المعلم" وباسمه ترتكب أكبر المجازر والمعاصي؟ وسأسأل الملائكة، في ليلة الميلاد، ألم تسمع أتين "عهد"، وأمنية "المريميات" وهن يندرن أنفاسهن فداء "للقيامة" والخالص والمسررة بين الناس؟ لماذا تأخرت؟ وأين كنت، أيها "الفادي" منذ أكثر من قرن، وأنت، كما جاء في الكتب، سند لأحرار النفس ومطمع للجوعى ونصير للمظلومين وشفيق للمساكين ومنصف المحرومين؟

رئيس التحرير: زكريا حسن

zakariahhasan22@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة. المواد المرسلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر. - الإعلانات على مسؤولية المعلن

المحرر المسؤول:

وليد صالح حسن

alwan@barak.net.il

الناصرة، ص. ب 50198 ميكود 16000

هاتف: 04-6562513 فاكس: 04-6562512

قسم الاعلانات: hades.adv@gmail.com

www.hades.co.il

حديث الناس

تصدر عن شركة حديث الناس م.م